من هو مؤلف الروض المعطار في خبر الأقطار

الدكتور صالح الحمارنه
الجامعة الاردنية
كلية الآداب / قسم التاريخ

تعليق على الطبعة الكاملة لكتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، تأليف ابن عبد المنعم الحميري ، تحقيق احسان عباس* .

ان اول اشارة الى كتاب « الروض المعطار في خبر الاقطـار » في الدراسات الحديثة كان من قبل المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال وذلك في مؤتمر المستشرقين العالمي الذي عقد في مدينة ليدن عام ١٩٣١ ؛ فقد لفت الاستاذ ليفي بروفنسال الانظار الى وجود مخطوط لمعجم جغرافي تاريخي عنوانه : « الروض المعطار في خبر الاقطار » [١] . ثم حقـق الاستاذ بروفنسال كل ما يتعلق ببلاد الاندلس (والبرتغال) وجنوب فرنسا ونشره في القاهرة عام ١٩٣٧ تحت عنـوان : « صفة جزيـرة الاندلس » منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، ثم ترجم النص العربي الى الفرنسية وضمه في كتاب واحد عام ١٩٣٨ [٢] .

ومنذ ذلك الحين حاول عدد من الباحثين ان يحققوا اجزاء اخرى من كتاب الروض المعطار صغيرة كانت او كبيرة ونشرها ومثال ذلك ما قام

* صدر عن مكتبة لبنان معجم جغرافي تاريخي بعنـوان « كتـاب الروض المعطار في خبر الاقطار » . من تأليف محمد بن عبد المنعم الحميري . وقد حقق هذا العمل الكبير الدكتور احسان عباس استاذ اللغة العربية وآدابها في الجامعة الاميركية في بيروت ـ لبنان .

به البرفسور ليفتسكي ، امبزنوريتزيتانو ، وكاتب هذا التعليق [٣] .

اما عمل الاستاذ احسان عباس والذي نحاول هنا ان نقدمه للقارىء الكريم فهو يشمل « كتاب الروض المعطار » كاملا وقد وقع الكتاب في ٧٤٥ صفحة من الحجم الكبير وجاءت الطبعة جيدة وعلى ورق أبيض صقيل وقامت بطبعها دار القلم للطباعة ــ لبنان .

لقد قام الاستاذ المحقق بتقديم الكتاب ببحث عميق وشيق ضمنه خلاصة دراسته لمخطوط الكتاب بشكل شامل وتعرض لاكثر الدراسات التي قام بها الباحثون المحدثون .

ان ابرز شيء في تحقيق الاستاذ عباس لكتاب الروض المعطار هو دراسته الدقيقة للسفر كله فقد تعرف من خلال دراسته لمتن الكتاب على مضمونه وحاول كذلك ان يتعرف على الكاتب نفسه سيما وان التراجم لم تذكر شيئا مهما عن تفاصيل حياة الحميري ولقد استطاع الاستاذ المحقق من خلال هذه الدراسة الدقيقة ان يرد المتن من السفر الى مصادره الاولية التي استقى منها الحميري معلوماته ، وهذا بالذات جهد كبير يستحق كل تقدير ، ثم ان المحقق ساق كثيرا جدا من الملاحظات والتعليقات الغنية والقيمة كلما اقتضى الحال ذلك لتوضيح المعنى وشرح المتن ثم أتبع الاستاذ عباس هذا كله بفهارس عدة اغنت الكتاب وجعلت تناوله على القارىء سهلا وميسورا ..

اما الفهرست الاول فهو في اسماء الاماكن التي جاء ذكرها في الكتاب والثاني في اسماء الاعلام ، والثالث في اسماء القبائل والامم وفهرست في اسماء الكتب التي جاء ذكرها في المتن وفهرست في قوافي الاشعار التي وردت في المتن .

ثم اعقب ذلك كله بقائمة واسعة باسماء المصادر التي استفاد منها المحقق في كتابة المقدمة وفي تحقيقه متن الكتاب .

ان أول قضية اعترضت كل من أراد البحث في كتاب الروض

المعطار .. او التقديم له هي قضية مؤلف الكتاب . ترى من هو مؤلف الروض المعطار الحقيقي ؟

هل هو عبدالله محمد بن محمد الحميري المتوفى سنة ٩٠٠ هـ ؟ ام هو ابو عبدالله محمد بن عبد المنعم الحميري ؟ دون ذكر لسنة الوفاة كما جاء في كتاب كشف الظنون (٤) .

لقد عالج هذا الموضوع بشيء من التفصيل كل من الاستاذ ليفي بروفنسال والاستاذ ريتزيتانو وخلص الاستاذ بروفنسال الى القول بوجود مؤلفين اثنين لكتاب الروض المعطار كل منها ينتسب الى حمير . قام اولهما بكتابة صورة اولى من « الروض المعطار » . وقام الثاني بانتحال عمل الاول . وربما اضاف اليه شيئا من دون ان يذكر ما للمؤلف الاول من فضل عليه (٥) .

اما امبرنوريتزيتانو فيقول : « ان مؤلف الروض المعطار .. » شخص واحد هو ابو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله ابن عبد المنعم الحميري المتوفى ٧٢٣ هـ او ٧٢٧ هـ (٦) والى هذا الرأي يذهب ايضا الاستاذ احسان عباس في مقدمته لكتاب الروض المعطار (٧) .

وحتى تتضح للقارىء هذه النقطة الهامة علينا ان نذكر هنا وبايجاز شديد أهم الدلائل التي أوردها الباحثون السابقون بهذا الصدد .

ذكر القلقشندي صاحب كتاب « صبح الاعشى » الذي انتهى من تأليفه عام (٨١٤ هـ ١٤١٢ م) ، كتاب الروض المعطار واعتمده كواحد من مصادره الجغرافية (٨) . فعليه لا يمكن ان تتأخر وفاه الحميري مؤلف الروض المعطار حتى سنة ٩٠٠ هـ . فاذن لا بد ان يكون مؤلف هذا الكتاب ممن عاش قبل مطلع القرن التاسع الهجري على أقل تقدير ..

يقول الاستاذ عباس : « ان ذكر حاجي خليفة له مرتين يعني انه اطلع على نسختين : احداهما ذكرت اسمه كاملا والاخرى ذكرت اسمه موجزا ولما كان حاجي خليفة ــ وهو منسق ببليوغرافي ــ غير

مسئول عن تحقيق الفرق بـين الاسمين فاثباته ما اثبته امانة دقيقـة منه في عمله (٩) .

وقد حاول غودفروا ـ ديمومبيين ان يفسر ذكر حاجي خليفـة سنة ٩٠٠ هـ تاريخا لوفاة المؤلف ، بان هذا يعود لخطأ شائـع في المخطوطات العربيـة التي تخلط بين كلمة « تسعماية » و « سبعماية » ووافقه على ذلك الاستاذ ريتزيتانو (١٠) .

اذن كل الدلائل تشير الى ان مؤلف كتاب الروض المعطار هـو محمد بن عبد المنعم الحميري المتوفي في النصف الاول من القرن الثامن الهجري وهو ذلك الحميري الذي وجد ليفي بروفنسال ترجمة لحياته ولو بسطور بسيطة نزره في كتاب « الاحاطـة » للسـان الديـن ابن الخطيب (١١) . ووجدها ريتزيتانو في سطور أقل منها في كتاب « الدرر الكامنة » لابن حجر والذي يذكر ان وفاة ابن عبد المنعم الحميري كانت سنة ٧٢٧ هـ (١٢) .

ان الذي يتصفح باتنباه كتاب الروض المعطار يرى ان التركيز فيه على الحوادث التاريخية التي وقعت في القرن السابع ومطلع القرن الثامن الهجريين ، ففي بلدان غرب الخلافـة يتحـدث عن دولتي المرابطين ثم الموحدين وبعض الدويـلات الصغرى الاخـرى التي قامت في بلـدان المغرب . اما في المشرق فهو يتحدث عن الهجوم التتري على بلدان الخلافة الشرقية وفي بلدان السواحل السورية يتحـدث عن انحسار الوجـود الفرنجي « الصليبي » في الشواطيء السورية الفلسطينية .. من كل ما تقدم نرى انه ليس هناك ما يعطل نسبة الروض المعطار الى ابن عبدالمنعم الحميري وان لم يحاول المؤلف في كتابه ان يبرز موقفه من ناحية الاحداث فالحميري كما يصفه الاستاذ احسان عباس : « لا نجد انسانا شديـد الحرص على انكار ذاته كما نجد الحميري ، وكأنه يقول بلسان الحال : أريد ان ارتب معجما جغرافيا معتمدا في ذلك على الانتقاء من عدد معين مـن المصادر . دون ان يكـون لي أي رأي ذاتـي او عرض لتجربـة خاصـة » (١٣) .

غير ان هذا القليل الذي يتعدى فيه الحميري مطلع القرن الثامن للهجري يدعو مع كل ذلك للتساءل فبالاضافة الى ملاحظة حاجي خليفة صاحب كشف الظنون بوجود حميري آخر توفي عام ٩٠٠ هجري ••• فقد ورد كتاب « هداية العارفين » تأليف اسماعيل البغدادي ما يعزز هذا الرأي ، فقد ذكر البغدادي عن الحميري ما يلي : محمد بن محمد بن عبدالله ابن عبد المنعم شمس الدين ابو عبدالله الحميري الذي توفي في سنة ٩٠٠ للهجرة ، كتب الروض المعطار في ذكر المدن والسير والاخبار وهو الكتاب الوحيد الذي وجدته له* (١٤) •

امام صمت التراجم ، ونزر المعلومات عن الحميري وعن حياته وعن أعماله لا نجد امامنا الا الرجوع الى كتابه نفسه « الروض المعطار » علنا نجد فيه ما يفي بالغرض ويشفي الغليل ••

فاذا ما تصفحنا الكتاب فاننا نعثر على بعض زيادات حدثت بعد نهاية القرن السابع الهجري • من هذه الزيادات ما جاء عند ذكر مدينة ايله : « والتي اصلحها الاشرف قانصوه الغوري آخر ملوك الجراكسة ** من جملة ما أصلح في طريق الحجاج ، في أواخر عمره قبل العشرين والتسعماية » •

وجدير بالذكر انه يوجد نقش على بوابة قلعة العقبة والتي تقع عند مدخل المدينة فيه اسم قانصوه الغوري وبجانبه تاريخ يرجع الى ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م (١٥) •

ونحن نعلم ان قانصوه الغوري اهتم بالعقبة لوقوعها على طريق الحج والتجارة (١٦) •

والحميري يصف مدينة ايله « ينزلها اليوم قوم من بني امية وأكثرهم موالي عثمان رضي الله عنه كانوا سقاة الحاج ، وبها علم كثير وآداب ومتاجر وأسواق عامرة ، وهي كثيرة النخل والزرع » • مما يدل على أنها كانت مدينة عامرة نشطة •

في حين ان الادريسي الذي يستقى منه الحميري معلوماته في أكثر

الأحيان يصفها في كتابه نزهة المشتاق وكأنها قرية صغيرة خاملة فيقول : « أيله قرية صغيرة يأتيها البدو لقضاءحاجاتهم » (١٧) .

ويذكر الحميري مدينة الرملة في كتابه مرتين مرة تحت حرف الف ومرة اخرى تحت حرف الراء ــ كما هو مفروض ــ وذكر في الوصف الاول « الرملة احدى مدن الشام وهي مدينة عامرة بها أسواق وتجارات ودخل وخرج ، ومنها الى يافا التي على ساحل البحر نصف يوم ، ومن الرملة الى نابلس يوم ، ومنها الى قيساريه مرحلة » . مأخوذ من نزهة المشتاق كما عودنا الحميري اما الوصف الثاني فهو : « الرملة بالشام ، سمتها الرملة لما غلب عليها الرمل وهي من كور فلسطين وبينها وبين القدس ثمانية عشر ميلا ، ومدينة الرملة واسطة بلاد فلسطين ، وهي مسورة ولها اثنا عشر بابا ، القدس ، وباب عسقلان ، وباب يافا ، وباب يازور ، وباب نابلس ، ولها أربعة أسواق متصلة من هذه الأبواب الى وسطها وهناك مسجد جامعها ، فمن باب يافا يدخل في سوق القماحين حتى يتصل بمسجد جامعها ، وهي سوق حسنة يباع فيها أنواع السلع ويتصل بباب القدس سوق القطانين الى سوق المشاطين الكبار الى العطارين الى المسجد ، الجامع ويتصل سوق الخشابين من باب يازور ثم سوق الجزارين ثم الشاقين الى المسجد الجامع ، ويتصل سوق الخشابين من باب يازور بآخر من أسواقها : سوق الأكافين وسوق الصياقلة ثم سوق الراجحين الى المسجد الجامع ، ويقال ان الرملة اربعة آلاف ضيعة بين الرملة وايليا ثمانية عشر ميلا في صحار ووهاد .. » .

هذا الوصف وجدته يطابق ما جاء في كتاب « الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل » تأليف ابن مجير الدين المتوفي سنة ١٤٦٣ م ن (١٨) . وان المصادر التي عودنا عليها الحميري لم تذكر ذلك ، فاذا صح ان هذا النص مأخوذ عن ابن مجير الدين فلا شك اذن انه جاء على يد حميري آخر متأخر ..

وعند ذكر مادة زلاقة التي استرسل الحميري في الحديث عنها يقول في النهاية : « قال مؤلف الكتاب رحمة الله عليه : خالفت بشرح هذه الوقيعة شرط الاختصار لحلاوة الظفر في وقت نزول الهمم ووقوعها في الزمن الخامل » .. قال مؤلف الكتاب رحمة الله عليه !! ان استنزال الرحمة على مؤلف الكتاب لا بد أن تأتي من كاتب آخر يترحم على سلفه ألا وهو الحميري الثاني الذي عاش في الزمن « الخامل » هذا الزمن المختلف عن زمن الحميري الأول الحميري الشيخ العمدة الذي كان زمنه زمن تقدم للمسلمين فقد أخذوا فيه يطردون الافرنج الصليبين من البلاد المقدسة وكانت الأندلس ما زالت عامرة وقوية بيد المسلمين ..

في حين ان زمن الحميري الثاني هو زمن خامل فعلا فيه خرج العرب من الأندلس بعد عذاب واضطهاد كبيرين .. وكذلك سقط حكم سلاطين مصر والشام تحت ضربات الأتراك العثمانيين ..

من كل ما تقدم ، واعني من الملاحظة التي ذكرها كل من حاجي خليفة والبغدادي ومن الزيادات الطفيفة التي وردت هنا وهناك في متن كتاب الروض المعطار نستطيع ان نسوق الرأي التالي : ان مؤلف الكتاب الأصيل هو الشيخ العمدة ابو عبدالله محمد بن عبد المنعم الحميري الذي فرغ من كتابه أو معظمه مع نهاية القرن السابع الهجري أو بداية القرن الثامن الهجري ..

اما أبو عبدالله محمد بن محمد الحميري والمتوفي حوالي ٩٠٠ هـ فهو ولا شك الذي اضاف بعض الزيادات ونعتقد أيضا انه قام كذلك باختصارات كثيرة اساءت للكتاب الأصيل كثيرا . فقد ادّعى الكتاب لنفسه اذ ربما انه من احفاد الحميري الأصيل وورث نسخة الكتاب فيما ورث عن سلفه وادعاه اعتباطا لنفسه ، ونحن هنا لا نستطيع ان نعده الا في جملة النساخ لا أكثر ولا أقل ..

اما من حيث المخطوطات التي استعان بها الاستاذ احسان عباس

في تحقيق كتاب الروض المعطار فقد اشار الى مخطوطتين كاملتين نسخة موجودة في مكتبة بيرم باشا التابعة لنور عثمانيـة وتحمل رقم (٤٤) والنسخة الاخرى كانت ملك المرحوم الشيخ محمد نصيف بجدة .

وقد نقلت عن نسخة مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة وكان الانتهاء من نقل نسخة المدينة سنة ٩٧٠ هـ . والنسختان تتقاربان الى حد بعيد ، وهذا التقارب يوحي بالقـول انهما اعتمدتا على اصل واحد . وهناك أيضا نسخـة اخرى ناقصة لكتاب الروض المعطار لم يشر اليهـا الاستاذ عباس تنتهي عنـد حرف (ز) ومكتوبـة بالخط النسخي علـى الطريقة المغربية وهذه المخطوطة وجدت في مدينة مكنس وهي الآن في معهـد الدراسات الاسلاميـة في جامعـة باريز . هـذا والاستـاذ بروفنســال قد أشار في مقدمته « صفة جزيرة الاندلس » ــ المذكورة سابقا الى وجود عدة نسخ يظهر انها قد اتلفت اثنـاء الحرب العالمية الثانيـة .

وأخيرا لا شك ان الاستاذ عباس قد قـام بعمل جليل في تحقيقه هذا المعجم الجغرافي التاريخي الكبير الـذي يمكن اعتماده ــ رغـم عدم اصالتـه ــ كمصدر هام للاحداث التاريخية خاصة تلك التي وقعت في القرن السابع وبدايـة الثامن الهجريين في شرق الخلافـة كما في غربهـا . ومع هذا أقول مع الاستاذ المحقق : « ليس من الضروري ان نغالي في تقييم « الروض المعطار » . فان مهمته لا تتعدى شيئين :

انه يشبه ان يكون نسخة ثابتة من كل مصدر نقل عنه ، وهو في هذه الحالة يصحح أحيانا بعض النصوص في تلك المصادر، كما انه احتفظ عبارة عزيزة تدور حول أحداث القرن السابع ربما طـال بنا الزمن قبل العثور على مصادرها . وبمادة مما لا يزال مفقودا من مسالك البكري ، وخاصة فيما يتعلـق بجغرافية القارة الاورربيـة والاندلس [١٩] . وأيضا فيمـا يتعلق بافريقية .

وبعد .. فهذا عمل مشكور قـام به الاستاذ الفاضل احسان عباس أمد الله في عمره لنرى أعمالا كبارا أخرى له .

الهوامش

1 — E. Lévi-Provençal, Actes du XVIII International Congres des Orientalistes, Leyde 1932, p. 138-40.

2 — E. Lèvi-Provençal, La peninsuie Iberique au Moyen Age d'après le Kitab ar-Rawd al-Mi'tar fi Haber Al-Aktar d'Ibn, Abd-al-Mun'im al-Himyar, Leyde 1938.

3 — Umberto Pizzitano, Kitab al-Rawd al-Mitar li Ibn Abd al-Mun'im al-Himyar, Khassa bi-I-Djuzur wa-I-bika al-Italiyya, fi Mad-jattal Kulliyyat al-Adab, XVIII, Cairo, May 1956.
ch. Pellat, Documents et notices, Extraits d'une notice inedite sur Basra. «Arabica», 1954, t. I, fasc, 2, pp. 213-215.
T. Lewicki, Braga et Miska d'après une source arabe inedite. «Folia Orientalia», time I, fasc, 2 (1959), Cracovie 1960, p. 322.
M. Malecka, La côte Orientale de l'Afrique au Moyen Age d'après le Kiteb ar-Rawd al-Mi'tar de al-Himyar (XXeS.), «Folia Orienta-ia», tome IV, Cracovie 1964.
S. Hamarneh, The description of Damascus in the ar-Rawd al-Mi'tar by al-Himyar. «Folia Orientalia» tome IX, Cracovie 1968, pp. 275-290. — An unpublished description of Jerusalem in the Middle Ages, «Folia Orientalia», tome IX, Cracovie 1970.

٤ ــ حاجي خليفة : كشف الظنون في اسماء الكتب والفنون تحقيق لبفيقال F. Flügel ص ٥٨٠ .

5 — Saleh Hamarneh: Are There one of two Authors of The work Ar-Rawd al-Mi'tar By Al-Himyari. Folia Orientalia Tome XII Cracow 1970. p. 79.

٦ ــ امبرتوريتزيتانو : منتخبات من كتاب الروض المعطار .. عن مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة .
المجلد الثامن عشر جزء اول سنة ١٩٥٦ مايو ص ١٣٥ .

٧ ــ احسان عباس : مقدمة كتاب الروض المعطار .. بيروت صفحة « ل » .

٨ ــ احمد القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشاء القاهرة ١٩١٣ ــ ١٩١٩ ، جزء ٤ ، ص ١١١ .

٩ ــ احسان عباس ن . م . صفحة ز .

١٠ ــ لفي بروفنسال : مقدمة صفة جزيرة الاندلس . الترجمة الفرنسية ص ١٥ . ومقدمة ريتزيتانو ص ١٣٢ .

١١ ــ لفي بروفنسال : ن . م . ص ٢٧ ــ ٢٨ وكتاب الاحاطة النسخة الكتانية بالرباط رقم ٢٧٠٤ ورمزها (ك) الصفحة ٥٤ .

١٢ ــ ابن حجر ، الدرة الكامنة م : (١٥ رقم ٢٩٥٠ ــ ط القاهرة)

١٣ ــ احسان عباس : مقدمة الروض المعطار صفحة م .

١٤ ــ اسماعيل البغدادي : هداية العارفين اسطنبول ١٩٧١ جزء ١١ ص ٢١٧ .

* ــ ولم يشر الاستاذ عباس الى هذا الكتاب .

** ــ حكم قنصوه الغوري الثاني من ١٥٠٠ ــ ١٥١٦ ميلادي ، ولكن آخر سلاطين المماليك الجراكسة هو الاشرف تومباي الثاني الذي حكم (١٥١٦ ــ ١٥١٧) م .

١٥ ــ لانكستر هاردنج : آثار الاردن عمان ١٩٧١ ص ١٧٢ ، تعريب سليمان موسى .

١٦ ــ ابن اياس : بدائع الزهور ٤ : ١٣٣ ، ١٥٢ ، ٥ : ٩٥ .

١٧ ــ الادريسي : نزهة المشتاق . تحقيق براندل ابسالا ١٨٩٤ ص ١٦ ــ ١٧ .

١٨ ــ ابن مجير الدين عبد الرحمان : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، القاهرة ١٨٦٦ . ص ٤١٦ ــ ٤١٧ .

١٩ ــ احسان عباس : المقدمة صفحة ص .